الأفعال في سورة الإنسان:
دراسة في الدلالة النحوية

م. د. ميثم كريم كاظم الشاهين

المديرية العامة للتربية في ذي قار

Verbs in Surat Al-Insan: A Study in Grammatical Connotations

Prof. Dr. Maitham Kareem Kadhum Al-Shaheen

General Directorate of Education in Thi Qar.

ملخص البحث

يمثل هذا البحث دراسة متواضعة لواحد من أركان الكلام العربي وهو الفعل وتبيين أثره في توجيه المعنى التفسيري في سورة الإنسان، وقد تضمن المباحث الآتية: (دلالة الجملة الفعلية المسبوقة بالاستفهام، دلالة الفعلين الماضي والمضارع، دلالة الفعل الناقص كان، دلالة المبني للمعلوم والمبني للمجهول، دلالة تعدي الفعل المتمكن بالواسطة)، فتبين انزياح دلالة الفعل عن أصلها لدلالة أخرى على الأرجح في أغلب الأفعال الواردة في السورة المباركة، إذ دلّ الماضي على المستقبل، والمضارع على الماضي، والفعل الناقص على الاستمرار والدوام، والاتصاف المطلق، وغيرها، وتبين للبحث دقة استعمال التعبير القرآني بل وخصوصيته في كل لفظ ومن ذلك بناء بعض الأفعال للمفعول وبعضها للمعلوم.

الكلمات المفتاحية : (الدلالة النحوية، الماضي والمضارع، الفعل الناقص، التعدي).

Abstract

This research represents a modest study of one of the pillars of Arabic language, i.e. the verb, and an explanation of its impact on directing the interpretive meaning in light of Surah Al-Insan. It included the following topics: the connotation of the verbal sentence preceded by interrogation, the connotation of verbs in the past and present tense, the connotation of the verb 'was', the connotation of the active voice and the passive voice, and. The meaning of the transitive verb is that it is possible for the verb to be transitive by means of an intermediary. It is clear that the meaning of the verb has shifted from its original meaning to another meaning, most likely in most of the verbs mentioned in the blessed Surah, as the past indicates the future, the present indicates the past, and the imperfect verb indicates continuity and permanence, and others. The research showed the accuracy of the use of the Quranic expression and even its specificity in each word, including the construction of some verbs for the passive and some for the active. Keywords: (semantics, grammar, past and present, defective verb, transitive).

المقدمة

درس البحث أثر الدلالة النحوية للأفعال في توجيه المعنى التفسيري في سورة الإنسان على وفق المنهج الوصفي التحليلي، وقد وقع محاولةً لمعرفة خصائص استعمال تلك الأفعال ودلالاتها وأثر ذلك في الدلالة القرآنية وتغيير المعنى أو توجيهه في ضوء الفعل التام المضارع أو الماضي أو الناقص واحتمالات تعدد الدلالة، والسمة التعبيرية وخصوصية استعمال الفعل من جهة البناء للمجهول أو المعلوم، وأثره في الدلالة القرآنية، ودلالة تعدي الفعل المتمكن بالواسطة، وفي مبحث دلالة الفعلين الماضي والمضارع لم يشر البحث في هذا المبحث إلى الأفعال الواقعة على أصل دلالتها، مثل دلالة المضارع على المستقبل أو الماضي على ما مضى وانتهى؛ لأنه ليس هدف الدراسة، فضلاً عن إهمال بعض المباحث المتعلقة بالدلالة النحوية للفعل؛ لأنها قد وردت في دراسات سابقة، منها توكيد الفعل بالمصدر، وتعدي الفعل ولزومه، كما تجنبت الدراسة التمهيد للبحث وتضمينه حيثيات هذه السورة، مع إهمال الجانب التنظيري في كل باب - على الأغلب-؛ لأنها مباحث قد أُشبعت تنظيراً؛ ولاسيما ممن تناول هذه السورة المباركة بالدرس لغوياً.

وقد أفاد البحث -ولو إجمالاً- من بعض الدراسات السابقة لهذه السورة المباركة ومنها:

- خصائص التعبير القرآني في سورة الإنسان: د. نعيم سلمان البدري.
- سورة الإنسان دراسة لغوية تحليلية: د. هدى السعيد إبراهيم خميس.
- من بلاغة الإنسان في سورة الإنسان: د. فاطمة محمد محمد المهدي.
- التناسق الموضوعي في سورة القيامة والإنسان والمرسلات: د. محمد حبيب مختار.

المبحث الأول: دلالة الجملة الفعلية المسبوقة بالاستفهام

من أدوات الاستفهام: هل والهمزة، والأولى (هل) لها دلالات نحوية متعددة منها أن تقعَ بمعنى قد: إذ وردت في مطلع سورة الإنسان عند قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ [الإنسان/ ١]، فقد وقعت الجملة الإنشائية المبدوءة بـ(هل) الاستفهامية للدلالة على الجملة الخبرية، إذ نابت الأداة (هل) عن الأداة (قد)، وتقدير الكلام: (قد أتى)، وقد هذه إذا وقعت قبل الماضي دلت على تحقق حصول الفعل بعدها، ومن هنا فقد حملت الجملة الفعلية المسبوقة بأداة الاستفهام (هل) دلالة التحقيق، أو التقرير والتقريب في حصول الفعل، بمعنى: أتى على الإنسان قبل زمن قريب حينٌ من الدهر[١]، وذهب أحد الباحثين إلى أنّ الدلالة المتخفية وراء هذا التقرير هي الموعظة والعبرة من الأجيال السابقة والأمم الماضية[٢].

وذهب الدكتور فاضل السامرائي إلى غير هذا، فرأى نفي دلالتها على (قد)، مستدلاً بعدم إمكان استبدال قد بها في مثل قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ [المجادلة/ ١]، فذهب إلى القول بأن المقصود منها ((إشراك المخاطب في الأمر، ليقرر ويجيب بنفسه في حين لو ذكره بصورة الخبر لكان إخباراً من قبل المتكلم نفسه، فقوله: (هل أتى على الإنسان حين من الدهر...) يشرك المخاطبين في الأمر ويطلب منهم الإجابة... فالفرق أن المتكلم في الأولى قرر هذا الأمر ابتداءً وأخبر به، وفي الثانية عرضه المتكلم بصيغة السؤال ليقرره المخاطب بنفسه))[٣]، فهي عنده جملة استفهامية يراد بها الجواب من المتكلم لحصول دلالة التقرير منه،

فهي ليست على معنى الخبر بل قريبة منه[٤].

المبحث الثاني: دلالة الفعلين الماضي والمضارع

في قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان/ ٢]، ثلاثة أفعال هي: (خلقنا، ونبتليه، وهدينا)، أما الفعل خلقنا فهو إخبار عن أصل الخلقة التي كانت وما زالت من نطفة[٥]، أما الفعل (نبتليه) فهو للدلالة على المستقبل، وتقدير النص كما قال الواحدي (ت: ٤٦٨هـ): جعلناه سميعاً بصيراً لنبتليه[٦]، فالابتلاء متأخر عن الخلقة ولاحق لها، والفعل (جعلنا) يشبه في دلالته الفعل (خلقنا) إخبار وإشارة إلى تقرير الله تعالى لأصل خلقة الإنسان.

أمّا قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا * إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا﴾ [الإنسان/ ٣-٤]، فالفعل (هدينا) دال على الحال والاستقبال، أما الفعل (أعتدنا) فقد دل على تحقق الحصول في المستقبل وإنّ ادخار أنواع العذاب الثلاثة (سلاسل، وأغلال، وسعير) واقعة لا محالة، قال الشيخ الطوسي (ت: ٤٦٠هـ): ((«إنا اعتدنا للكافرين» أي ادخرنا لهم جزاء على كفرهم ومعاصيهم وعقوبة لهم ((سلاسل واغلالاً وسعيراً)) يعذبهم بها ويعاقبهم بها))[٧]، ولما كان ذلك في دلالة الوعد والوعيد فإنه لا يكون إلا في المستقبل القريب بعلم الله وقدرته جل ثناؤه، فهو واقع ومفروغ منه، بحيث صار كأنه قد وقع وانتهى في ضوء توظيف بناء الفعل الماضي ودلالاته.

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا * يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا

كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا * وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [الإنسان/ ٥-١٠]، وردت الأفعال (يشربون، ويشربُ، ويفجرون، ويوفون، ويخافون، ويطعمون، ونطعمكم، ونخاف) مضارعة دالة على الحال والاستقبال، وقد وردت بصيغة المضارع للدلالة على أن هذه الأفعال مستمرة من أهل البيت (عليهم السلام) دالة على التجدد والحدوث، إذ الفعل المضارع يدل على الدوام في تجدد حصوله من فاعله[٨]، فتنزيل الماضي منزلة المستقبل يقع للدلالة على أنه بمنزلة الواقع المفروغ من وقوعه[٩]، وكذا الفعل المنفي بـ (لا) في قوله: (لا نريدُ) فإنه يحمل دلالة نفي الجزاء والشكر الآن وغداً وبعد غدٍ، فالفعل مضارع دال على الاستقبال.

ونقل لنا أبو الحسن الواحدي (ت: ٤٦٨هـ) ما مضمونه أنّ الفعل (يوفون) دال على المضي وليس المستقبل[١٠]، وذهب الفراء (ت: ٢٠٧هـ) إلى القول بدلالاتها على الماضي؛ لأن هذه الأفعال كانت قد صدرت منهم في الدنيا، فقال: ((هذه صفاتهم في الدنيا، كأنّ فيها إضمار كان: كانوا يوفون بالنذر))[١١]، فهي أفعال قد وقعت وانتهت، والقرآن الكريم ينقلها على لسان الحال الماضية، وإليه يذهب الباحث، إذ الإيفاء بالنذر وإطعام الطعام والخوف من الله أفعال دائمة ثابتة فيهم، لكنها تدور مدار وجودهم في عالم القيام بها، أي عالم العمل بلا حساب، وليس عالم الحساب بلا عمل، فهي ثابتة مستقرة فيهم (عليهم السلام) إلا أنها قد انتهت وانقطعت ومضت -والله أعلم-.

ثم جاءت بعد ما تقدم مجموعة من الأفعال الماضية التي ذكرت في

خصائص التعبير القرآني لأستاذنا الدكتور نعيم البدري، وهي: (فوقاهم، ولقّاهم، وجزاهم، وذللت، وقدروها، وسقاهم) وقد دلت على المستقبل، وهي في ذلك أبلغ، فاستعماله هنا دلالة على تحقق وقوعه حتماً[١٢].

وقد وردت لفظة (سقى) على هيأة الفعل مرتين: الأولى: بصيغة الماضي في قوله تعالى: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان/ ٢١]، والثانية بصيغة المضارع عند قوله تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾ [الإنسان/ ١٧]، ففي المرة الأولى بصيغة الماضي؛ للدلالة على تحققه في المستقبل القريب في اللوح المحفوظ عنده تعالى، بحيث صار كأنه مفروغ منه، ولاسيما أنه قد ورد في سياق نسبة الفعل إليه تعالى، فقد ورد بطريقة البناء للمعلوم وفاعله هو الله تعالى، وهذه الدلالة تناسب انتقاء اللفظ الدال على تحقق الحصول.

أما الفعل (يُسقون) في المرة الثانية فقد ورد بطريقة الفعل المضارع المبني للمجهول، وفيه احتمالان:

الأول: أنّ الشراب مرغوب فيه عندهم، فيجددون طلبه مرة بعد مرةٍ.

الثاني: أنّ الشراب ليس منه تعالى؛ لأن من سقاه يستغني فلا يطلب تكرار السقيا، وهذه الدلالة يناسبها بناء الفعل للمجهول وما فيه من احتمال دلالة معرفة الفاعل.

وفي قوله تعالى: ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ [الإنسان/ ١٤]، جاء الفعل الماضي المبني للمجهول (ذُلل) المقترن بتاء التأنيث العائدة على الجنان لحكاية حال ستقع في المستقبل، وقد وقع بصيغة الماضي للدلالة على أنّ حكمه تعالى قد نفذ القلم فيه ووقع ومضى بحيث صار كأنه قد انتهى وفُرِغَ منه.

وفي قوله تعالى: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ

مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان/ ٢١]، جاء الفعل (حُلُّوا) ماضياً دالاً على المستقبل، في حين ورد هذا اللفظ بهيأة المضارع في ثلاث سور من الكتاب الكريم [الكهف: ٣١، والحج: ٣٣ وفاطر: ٣٣]، ولعل في استعمال الفعل الماضي بدلالة المستقبل في سورة الإنسان بخلاف بقية السور خصوصية استعمال ومقصدية لها علاقة بالمخاطبين المخصوصين بها، بحيث صار ذلك كأنه متحقق مفروغ من وقوعه تعظيماً لشأن من نزلت بحقهم وعلو منزلتهم.

المبحث الثالث: الفعل المبني للمعلوم والمبني للمجهول

قال تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ * قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا * وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا * عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا * وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا * عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا * إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإنسان/ ١٥- ٢٢].

إذ ورد الجذر اللغوي (سقى) على هيأة الفعل في موضعين في السورة، ورد في الموضع الأول مبنياً للمعلوم في قوله تعالى: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان/ ٢١]، والثاني مبنياً للمجهول في قوله تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾ [الإنسان/ ١٧].

ففي البناء للمجهول تظهر دلالة احتمالية عود الضمير، فربما عاد على الخدام أو الخزان أو الملائكة[١٣]، فالساقي هنا غير محدد، فيتعدد احتمال التصور للفاعل لدى المتلقي، وهو ما يناسب نوع السقي، فربما تعدد الساقي

لتعدد طلب الشراب وتكرار الفعل رغبة من الموصوفين المكرمين بهذه النعم، وليس هذا فحسب فقد يكون فيه دلالة على أن هذا السقي مجهول مادي، وهو غير محصور بالمخلصين فقط، أو تعدد احتمال ما تحمله هذه الكؤوس، فإذا أخذنا بعموم المعنى المعجمي للفظة الكأس التي تعني الإناء إذ قد يكون شراب حاجة كالماء مثلاً، وقد استُعملت لفظة (كأس) لتحمل دلالة لذة شرب الحاجة الأساسية كالماء؛ لأنه في نعيم الآخرة، وقد لا يكون لحاجة، فهو شراب ليس بأساس، إذ الكأس زجاجة فيها الشراب الذي هو الخمر[١٤]، وقد تكون هذه المعاني وغيرها محتملة كلها في السياق، وقد يكون بناء الفعل للمجهول مناسباً لسعة أفق الدلالة وتعدد احتمالها.

ويرجح الباحث الاحتمال التحليلي الأول وأن هذا الشراب الذي يسقونه شراب حاجة، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[القمر/ ٤٩]، وهو ما يمكن أن يقع تحت حقل التقدير والتقنين في تدبير أمور المعيشة.

أما قوله تعالى: (وسقاهم ربهم) بطريقة المعلوم - ربما والله أعلم - لتعلق تعدي تأثير الشراب في الجوانب المادية ووصوله إلى روح الإنسان وذاته فيطهرها، وهذه غاية الغايات ومنيا السالكين للوصول إلى مبتغاهم؛ لذا وصف الشراب بـ(طهوراً)، إذ التطهير المعنوي الواقع في قرينة (طهوراً) الدالة على المبالغة لم يكن للجميع بل لعباده المخلصين الذين بلغوا الدرجات العليا، فناسبه إسناد الفعل إلى الفاعل الذي هو الحق جل ثناؤه؛ لأن الذين يسقون هذا الشراب يستحقون نسبة الفعل له تعالى، إذ لم يبلغوا هذه المكانة إلا باستعدادهم الروحي، ونسبتها لله تعالى تعني خلوها من الشوائب، فهي كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ

تَطْهِيرًا﴾[الأحزاب/ ٣٣]، وهم أنفسهم من نزلت بهم الآيتان معاً.

وهناك احتمال تحليلي آخر مفاده أن الخطاب خاص يراد به العموم، وأنهم ربما بسبب تمتعهم في الدنيا ما زالوا يعانون من بعض الدرن وشوائب العمل فجاءت نسبة فعل السقيا لله تعالى لتكون مناسبة لمدى تطهيره لهم، وهذا المعنى غالباً ما يكون صادراً من الأعلى إلى الأدنى، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾[الفرقان/ ٤٨]، ويؤيد هذا ما ذكره بعض المفسرين من أنه يسقيهم شراباً طهوراً من عين ماءٍ في الجنة من شرب منها نزع الله ما في قلبه من درن، وما في جوفه من أذى[١٥].

وهناك فعلان آخران في السياق نفسه ورد أحدهما بطريقة البناء للمفعول والثاني على البناء للمعلوم، والأول في قوله تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ﴾ [الإنسان/ ١٥]، فقد وقع الفعل (يطاف) مبنياً للمجهول، إذ الحاجة هنا هي حاجة أساسية كالماء أو غيره؛ لقرينة لفظية (آنية، وأكواب)، وهذا يجعل المشهد بحاجة إلى تعدد احتمال القائمين بهذا الطواف الساقين لهولاء العباد المخلَصين، فاحتمال تعددهم في ذهن السامع عن طريق البناء للمفعول يناسب المقام؛ لأنهم قد يكرّرون طلبهم في الشرب، ولعل ما يدل على ذلك استعمال المضارع الدال على استمرار الفعل واستمرار التمتع والتنعم على كل حال[١٦]، فضلاً عما يحمله النص من دلالة مفادها عدم محدودية التكريم عند تعدد احتمال الفاعل للطواف، بحيث يكون مجاله واسعاً رحباً ولاسيما أنه قد دخل في باب التنكير الحامل لدلالة الاحتمال والإيهام.

أما الفعل الثاني ففي قوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ

مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا﴾ [الإنسان/ ١٩] فقد جاء الفعل (يطوف) مبنياً للمعلوم وفاعله (الولدان المخلدون)، ولعله - والله أعلم - بحسب السياق جعل الفاعل معلوماً للدلالة على أن هذا الطواف هنا هو طواف متعة يتعلق بأمور مادية لها علاقة وثيقة بأمور الكمال التام للنعيم الأخروي؛ لذا ناسبه ذكر (الولدان المخلدون) أصحاب الثياب السندس الخضر والاستبرق، فبدأ بمتعة النظر بعد أن قدم في السياق السابق ما يدل على الحاجة الرئيسة بحيث جعله مجهولاً ليتسع أفق المتلقي في احتمال تعدده وتعدد نوع الشراب، وهذا كله إن دلّ على شيء فإنما يدل على علو مقام المخاطبين أو المحكي عنهم في الآخرة، وهم أهل البيت (عليهم السلام)، ودلالة على جهودهم وإخلاصهم وكمالهم بحيث بذلوا ما بذلوه في عالم الدنيا كي ينالوا ذلك النعيم الخالد كله في الآخرة.

وقيل إنه لما قصد وصف الأواني التي يطاف بها جيء بالفعل مبنياً للمجهول، وجيء به مبنياً للمعلوم لما قصد منه وصف الفاعلين الطائفين بالآنية [١٧].

ومما جاء مبنياً للمفعول (حُلّوا) في قوله تعالى: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾[الإنسان/ ٢١] إذ ورد الفعل (حُلُّواْ) على طريقة البناء للمجهول، فمن ضمن مشاهد السورة مجيء وصف الأواني، ثم بيان صفات الساقين بها العاملين عليها، ثم بيان نوع الحلي التي يلبسون (أساور من فضة)، وهنا بني الفعل للمفعول؛ لأن السياق - والله أعلم - ربما قد جعل محور ارتكاز النص هو الأساور الفضية لا الفاعلين أنفسهم، فحصل الانزياح مرة أخرى في تحول من وصف الوالدان أنفسهم إلى وصف جزئية أخرى وحيثية لها

دلالاتها المعنوية في روح الإنسان يوم القيامة ليس بثمنها بل بقدر تعلق نفوس بني البشر بها وتواقهم إليها، فحذف الفاعل وناسب حذفه العدول عن ذكره وانشغال المتلقي بغيره (أساور من فضةٍ).

المبحث الرابع: دلالة الفعل الماضي الناقص

أولاً: دلالة المضارع على نفي الحصول في الماضي: في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾[الإنسان/ ١]، جاء الفعل المضارع الناقص (يكن) بعد أداة النفي (لم)، التي تقلب دلالة الفعل المضارع إلى الماضي، لذا ذهب بعضهم إلى القول إنها على تقدير: (كان شيئاً ولم يكن مذكوراً)[١٨]؛ لأنه لم يقع بعد، فالفعل الناقص (يكن) دال على نفي حصول الحدث في زمن مضى وليس في الحال والاستقبال.

ثانياً: الدلالة على الدوام الاستمرار: في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان/ ٣٠]، ورد الفعل (كان) في سياق علم الله تعالى وحكمته، ولا يكون ذلك بأي حال من الأحوال دلالته على زمن محدد فهو عليم حكيم على كل حال، فهي بمعنى (لم يزل)[١٩]، لذا فإن الدلالة الزمنية للفعل الماضي الناقص (كان) هي الاستمرار في وقوع ذلك منه تعالى، وشبيه ذلك كثير ذكر منه الرضي قولهم: كان زيدٌ نائماً فاستيقظَ[٢٠]، وذهب الدكتور السامرائي إلى أن الصواب دلالتها على اقتران معنى الجملة التي تليها بالزمن الماضي وعدم انقطاعها في المستقبل[٢١].

ثالثاً: الدلالة على المستقبل: في قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾[الإنسان/ ٧]، وقع الفعل الماضي الناقص (كان) في معرض الحديث عن سياق يوم القيامة، وقد أفاد الاستقبال، إذ إنّ

المباشرة بهذه الأحداث في ضوء تقديم كان عليها – على الرغم من بعدها عن زمان التكلم – توحي بدلالة مفادها أنّ أمر الله سريع وحاصل وواقع ومتحقق لا محالة[٢٢]، وقد وقع بعده الجملة الاسمية الدالة على الثبوت والاستمرار، فقد أفاد أن ذلك الوعد متحقق وثابت وقوعه، فدل على تمكن الخبر من المخبر عنه، وذهب الدكتور السامرائي إلى أنها وأخواتها من باب تنزيل المستقبل منزلة الماضي لبيان أنه مما يتحقق لا محالة، وأنه مفروغ منه[٢٣].

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإنسان/ ٢٢]، فقد وقع الفعل الماضي الناقص (كان) الوارد مرتين في الآية للدلالة على الاستقبال؛ لوقوعه في سياق خبري[٢٤].

رابعاً: الاتصاف المطلق: ذكر هذه الدلالة الدكتور السامرائي فذهب إلى أن (كان) قد تقع للدلالة على الحدث المطلق، ولعله – والله أعلم – أن منها (كان) التي في قوله تعالى: ﴿كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾ [الإنسان/ ١٧]، فهي تدل على اتصاف مطلق غير مقيد أو محدد، فمعنى كان زيد قائماً، أنّ زيداً متصفٌ بصفة القيام مطلقاً[٢٥]، وقد ذكر الواحدي (ت: ٤٦٨هـ) أنها ((زائدة لا يحتاج إليها، والعرب تزيدها في أضعاف الكلام))[٢٦]، والأول أرجح؛ لما يتضمنه من دلالة تؤثر في المعنى، بخلاف ما إذا كانت زائدة لا يحتاج إليها.

المبحث الخامس: علة تعدي الفعل المتمكن بالواسطة

في قوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان/ ٦]، إذ إنّ الفعل (يشرب) من الأفعال المتعدية بنفسها، وقد عُديَ في سياق هذه الآية بواسطة حرف الجر الباء، وقد جاء في معاني الفراء: ((وقوله عز وجل: «يشرب بها» (٦)، و

«يشربها». سواء في المعنى، وكأن يشرب بها: يروي بها، وينقع))[٢٧]، فكأنه يريد القول بأنه حرف جر زائد للتوكيد، بحيث تكون مثل قول الشاعر [٢٨]:

شربن بماء البحر ثم ترفعت
متى لججٍ خضرٍ لهنّ نئيجُ.

فمعنى: شربن بماء البحر، شربن ماء البحر.

وذكر بعضهم أنها قد تكون بمعنى: (يُروى)، وهذا فعل لا يتعدى إلا بالواسطة، فكانت كذلك، وهي على تقدير: (يروى بها عباد الله)[٢٩].

والذي نذهب إليه - والله أعلم - ترجيح الاحتمالات الآتية:

١- إنّ الفعل (يشربُ) على معنى (يُروى) الذي لا يتعدى إلا بالواسطة.

٢- نيابة حرف الجر الباء عن حرف الجر (من) الحاملة دلالة التبعيض، بحيث تكون الباء في (بها) على تقدير (منها).

٣- دلالة نيابة الباء، وعدم استعمال (من) مباشرة أفادت معنى الإلصاق بالعين، فكأنهم ملازمون لها لا يفارقونها، وهو ما لا يتحقق إلا بالباء الحاملة دلالة الإلصاق[٣٠].

إذ التقدير: عيناً يروى منها عباد الله، فالنيابة واللزوم الصرفي لدلالة الفعل، والتبعيض في الحرف يناسبان السياق ومعناه أنّ العين غير محددة ولا نافذة، فبالباء حصلت دلالة التبعيض لشرب بعضٍ منها بحيث لا تنفد ولن تنفد، فهي دائمة مستمرة، بدليل الفعل المضارع العامل بالمجرور الدال على الاستمرار.

وليس ببعيد أن تكون على معنى (شربن بماء البحر) وتكون (يشرب) بمعنى (ينقع)، والمعنى تمام التمكن ومحض التملك لهذه العين وكأنها هي نفسها الكأس التي يشربون بها، فالعين على عظمتها هي الكأس التي بها يشربون، وقد يكون المعنى تمام الارتواء من هذه العين؛ لذلك ضمنت

(يشربون) معنى (يرتوون)، فناسبها الباء؛ لأنها عين تروي من يشرب منها.

الخاتمة

تتصف الدلالة النحوية للأفعال في هذه السورة المباركة بمجموعة من الصفات التي كان لها الأثر البارز في توجيه المعنى التفسيري للسورة الشريفة، ومن ذلك دلالة الفعل الماضي المسبوق بالإنشاء (الاستفهام بـهل) على الخبر المتحقق الوقوع (قد أتى)، واستعمال الفعل الماضي لدلالة المستقبل، دلالة المضارع على المضي، وخروج كان عن أصل دلالتها إلى الاستمرار والدوام، والاتصاف المطلق، والمستقبل، ونفي الحصول في الماضي، ودل تناوب صيغتي المجهول والمعلوم على خصوصية الاستعمال القرآني، إذ وُظِف المجهول ليناسب احتمال تعدد المعنى في سياقه واحتمال تعدد فاعله، أما في المعلوم فدلالة صريحة على مناسبة عظمة الساقي (الله تعالى) لمقام من وصفتهم السورة بـ (الأبرار)، فكأنه قد تولى بذاته سقياهم، وهذا يكشف عن عظمة مقام المخاطبين في الآخرة وجهودهم التي بذلوها في الدنيا لنيل تلك المراتب العلى، كما عُديَ الفعل المتمكن بالواسطة لدلالة الاستمرار والملازمة بين بين السقيا والمسقي بها، وعدم نفادها.

الهوامش:

١- يُنظر: الكشاف: الزمخشري: ٤ / ٢٨٣.

٢- يُنظر: التعبير الجملي في سورة الإنسان: (بحث منشور)، مركز دراسات الكوفة، ع ٥٦/ ٢٠٢٠م، ٣٢٥.

٣- معاني النحو: فاضل السامرائي: ٤/ ٢٤٦.

٤- يُنظر: المصدر نفسه: ٤/ ٢٤٦.

٥- يُنظر: التبيان في تفسير القرآن: الشيخ الطوسي: تح: أحمد حبيب العاملي: ١٠/ ٢٠٧.

٦- يُنظر: التفسير البسيط: أبو الحسن الواحدي: ٢٣/ ١٥.

٧- التبيان في تفسير القرآن:: ١٠/ ٢٠٧-٢٠٨.

٨- يُنظر: معاني النحو: فاضل السامرائي: ٢/ ١٩٧.

٩- يُنظر: المصدر نفسه: ٢/ ١٩٨.

١٠- يُنظر: التفسير البسيط: ٢٣/ ٢٥.

١١- معاني القرآن: الفراء: ٣/ ٢١٦.

١٢- يُنظر: خصائص تعبير سورة الإنسان: (بحث منشور): نعيم سلمان البدري: مج٢/ ع ٢- ٣، ٢٠١٢م، ٣٥.

١٣- يُنظر: التفسير البسيط: ٢٣/ ١٧.

١٤- يُنظر: العين: الخليل الفراهيدي: (كأس): تح: عبد الحميد هنداوي ٤/ ٣، و لسان العرب: ابن منظور: (كأس): ٣٨٠٢.

١٥- يُنظر: تفسير مقاتل: مقاتل بن سليمان: ٢٢٢، وتفسير القرطبي: ١٩/ ١٤٥، والتفسير البسيط: ٣/ ١٥.

١٦- يُنظر: سورة الإنسان دراسة لغوية تحليلية: (بحث منشور): د. هدى السعيد إبراهيم، مجلة كلية دار العلوم، مج٣٨/ ع١٣٧، ٢٠٢١م، ١٠٤٦.

١٧- يُنظر: سورة الإنسان: دراسة

لغوية تحليلية: ١٠٥٥.

١٨- يُنظر: معاني القرآن: الفراء: ٣/ ٢١٤.

١٩- يُنظر: معاني النحو: ١/ ٢١٣.

٢٠- يُنظر: الكافية على النحو: ٢/ ٢٩٣.

٢١- يُنظر: معاني النحو: ١/ ٢١٤.

٢٢- يُنظر: الدلالة الزمنية للجملة العربية في القرآن الكريم: نافع علوان الجبوري: ٣١٣.

٢٣- يُنظر: معاني النحو: ١/ ٢١٧.

٢٤- يُنظر: الدلالة الزمنية للجملة العربية في القرآن الكريم: ٣١٤.

٢٥- يُنظر: معاني النحو: ١/ ٢١٧.

٢٦- يُنظر: التفسير البسيط: ٢٣/ ٢٥.

٢٧- معاني القرآن للفراء: ٣/ ٢١٥.

٢٨- يُنظر: معاني القرآن للفراء: ٣/ ٢١٥، ومجمع البيان: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، ١٠/ ١٦٤، وشرح قطر الندى: ابن هشام الأنصاري: ٣٤٣، وورد في شرح ابن عقيل منسوباً إلى أبي ذؤيب الهذلي بوصفه شاهداً نحوياً على تناوب معاني الحروف، وقد نابت فيه الباء عن (من): ٢/ ٦.

٢٩- يُنظر: إعراب القرآن: أبو جعفر النحاس: تح: زهير غازي زاهد، ٥/ ٩٨.

٣٠- يُنظر: شرح ابن عقيل: ٢/ ٢٢.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

١- إعراب القرآن: أبو جعفر النحاس: تح: زهير غازي زاهد، عالم الكتب، ط٢، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٢- التبيان في تفسير القرآن: الشيخ الطوسي: تح: أحمد حبيب العاملي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، (د: ت).

٣- التفسير البسيط: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي، تح: مجموعة من الأساتذة الأفاضل، دار العماد للدراسات والبحوث القرآنية، دمشق، بالتعاون مع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط١، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

٤- تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، خرج أحاديثه وعلق عليه: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط٣، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٥- تفسير مقاتل بن سليمان، دراسة وتح: د. عبد الله محمود شحاته، مؤسسة التأريخ العربي، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٦- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٧- الدلالة الزمنية للجملة العربية في القرآن الكريم: نافع علوان الجبوري، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، العراق - بغداد، ط١، ١٤٣٠هـ.

٨- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: قاضي القضاة بهاء الدين عبد الله بن عقيل المصري الهمداني، تحقيق: محمد محيي الدين بن عبد الحميد، انتشارات ناصر خسرو، (د. ت).

٩- شرح قطر الندى: ابن هشام

الأنصاري، منشورات ذوي القربى، ط٥، ١٤٣٢هـ.

١٠- العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي: تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ.

١١- مجمع البيان: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، دار المرتضى، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ.

١٢- معالم التنزيل: أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تح: محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة خميرية وسلمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٠٩هـ.

١٣- معاني القرآن: يحيى بن زياد الفراء، عالم الكتب، بيروت - لبنان، ط٣، ١٤٠٣هـ.

١٤- معاني النحو: فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

البحوث

١٥- التعبير الجملي في سورة الإنسان: (بحث منشور)، د. فضيلة عبوسي العامري، مجلة مركز دراسات الكوفة، ع ٥٦/ ٢٠٢٠م.

١٦- خصائص تعبير سورة الإنسان: (بحث منشور): نعيم سلمان البدري: مج٢/ ع ٢- ٣، ٢٠١٢م.

١٧- سورة الإنسان دراسة لغوية تحليلية: (بحث منشور): د. هدى السعيد إبراهيم، مجلة كلية دار العلوم، مج٣٨/ ع١٣٧، ٢٠٢١م.